بسم الله الرحمن الرحيم

القصيدة الزينبية

1- صَرَمَتْ حِبالَكَ بَعدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ … والدهر فيه تصرم وتقلب

2- نشرت ذوائبها التي تزهو بها … سودا ورأسك كالثغامة أشيب

3- واستنفرت لما رأتك وطالما … كانت تحن إلى لقاك وترغب

٤- وكذاك وصلُ الغانياتِ فإنه … آلٌ ببلقعةٍ وبرق خلب

5- فدع الصبا فلقد عداك زمانه … وازهد فعمرك مر منه الأطيب

6- ذهب الشباب فما له من عودةٍ … وأتى المشيب فأين منه المهرب

7- ضيف ألم إليك لم تحفلْ به … فترى له أسفًا ودمعًا تسكبُ

8- دع عنك ما قد فات في زمن الصبا … واذكُر ذنوبك وابكِها يا مذْنب

9- واذكُر مناقشةَ الحِسابِ فإنه … لا بد يحصى ما جنيت ويكْتب

10- لم ينسه الملكان حين نسيته … بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب

11- والروح فيك وديعةٌ أودعتها … ستردها بالرغْم منك وتسلب

12- والليلَ فاعلم والنهار كلاهما … أنفاسنا فيها تعد وتحسب

13- وغرور دنياك التي تسعى لها … دار حقيقتها متاع يذْهب

14- وجميــع مــا حــصلته وجمعتــه ... حقــا يقينــا بعـــد موتـــك ينهـــب

15- تبـــا لـــدارٍ لا يـــدوم نعيمهـــا ... ومـــشيدها عمـــا قليـــلٍ يخـــرب

16- فاسمع هــديت نــصائحا أولاكهــا ... بـــرٌّ لبيـــب عاقـــلٌ متـــأدب

17- صحب الزمــانَ وأهلــه مستبــصرا ... ورأى الأمـــور بمـــا تـــؤوب وتعقـــب

18- أهــدى النــصيحةَ فــاتعظْ بمقالــهِ ... فهـــو التقـــي اللـــوذعي الأدْرب

19- لا تــأمن الــدهر الــصروف فإنــه ... لا زال قـــدما للرجـــال يهـــذب

20- وكـــذلك الأيـــام غـــدواتها ... مـــرت يـــذل لهـــا الأعـــز الأنجـــب

21- فعليك تقْـــوى اللـــهِ فالزمهـــا تفُـــز ... إن التقـــي هـــو البهـــي الأهيـــب

22- واعملْ بطاعتِه تنــلْ منــه الرضــى ... إن المطيـــع لربـــهِ لمقـــرب

23- واقنع ففي بعــض القناعــةِ راحــةٌ ... واليـــأس ممـــا فـــات فهـــو المطلـــب

24- وإذا طمعت كُسيت ثــوب مذلــةٍ ... فلقـــد كُـــسِي ثـــوب المذلـــةِ أشـــعب

25- وتوق مــن غــدر النــساءِ خيانــةً ... فجميـــعهن مكائـــد لـــك تنـــصب

26- لا تــأمن الأنثـــى حياتـــك إنهـــا ... كـــالأفعوان يـــراع منـــه الأنيـــب

27- لا تــأمن الأنثـــى زمانـــك كلـــه ... يومـــا ولـــو حلفـــت يمينـــا تكْـــذب

28- تغـــري بلـــين حـــديثها وكلامهـــا ... وإذا ســـطت فهـــي الـــصقيلُ الأشـــطب

29- وابدأ عدوك بالتحية لا تكن   منه زمانك خائفاً تترقب

30- واحذره يوماً إنْ أتى متبسماً   فالليثُ يبدو نابه إذْ يغضب

31- إن الحقود وإن تقادم عهده   فالحقد باقٍ في الصدور مغيب

32- وإذا الصديق رأيته متملقاً   فهو العدو وحقه يتجنب

33- لا خير في ود امرئٍ متملق   حلو اللسان وقلبه يتلهب

34- يلقاك يحلف إنه بك واثق   وإذا توارى عنك فهو العقرب

35- يعطيك من طرف اللسان حلاوةً   ويروغُ عنك كما يروغُ الثعلب

36- واختر قرينك واصطفيه تفاخرا   إن القرين إلى المقارن ينسب

37- إن الغني من الرجال مكرم   وتراه يرجى ما لديه ويرهب

38- ويبش بالترحيب عند قدومه   ويقام عند سلامه ويقرب

39- والفقر شين للرجال فإنه   يزرى به الشهم الأديب الأنسب

40- واخفض جناحك للأقارب كلهم   بتذلل واسمح لهم إنْ أذنبوا

41- ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا   إن الكذوب لبئس خلاً يصحب

42- وذر الحسود ولو صفا لك مرةً   أبعده عن رؤياك لا يستجلب

43- وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن   ثرثارةً في كل نادٍ تخطب

44- واحفَظْ لِسانك واحترز مِـن لَفْظِـهِ ... فَـالمرءُ يـسلم بِاللـسان ويعطـب

45- والـسِر فَاكْتمـه ولا تنطِـق بِـهِ ... فَهـو الأسِـ لـديك إِذْ لا ينـشب

46- واحرِص على حِفْظِ القُلُوبِ مِن الأذَى ... فَرجوعهـا بعـد التنـافُرِ يـصعب

47- إِن القُلـوب إِذَا تنـافَر ودهـا ... شِـبه الزجاجـةِ كَـسرها لاَ يـشعب

48- وكَذَاك سِر الْمـرءِ إِنْ لَـم يطـوِه ... نـشرته أَلْـسِنةٌ تزيـد وتكْـذِب

49- لاَ تحرِصن فَالْحِرص لَـيس بِزائِـدٍ ... الرزق بلْ يـشقى الْحـرِيص ويتعـب

50- ويظـل ملْهوفًـا يـروم تحـيلا ... والـرزق لَـيس بِحِيلَـةٍ يـستجلَب

51- كَم عاجِزٍ فِي النـاس يـؤتى رِزقُـه ... رغَـدا ويحـرم كَـيس ويخيـب

52- أَد الأمانـةَ والْخِيانـةَ فَاجتنِـب ... واعدِلْ ولاَ تظْلِم يطِـب لَـك مكْـسب

53- وإِذَا بلِيـت بِنكْبـةٍ فَاصـبِر لَهـا ... مـن ذَا رأَيـت مـسلما لاَ ينكَـب

54- وإذا أصـابك زمانـك شِـدةٌ ... وأصـابك الْخطْـب الكَرِيـه الأصـعب

55- فَاضرع لِربـك إِنـه أدنـى لِمـن ... يـدعوه مِـن حبـل الورِيـدِ وأَقْـرب

56- كُن ما استطَعت عن الأنـامِ بِمعـزِلِ ... إِن الكَـثِير مِـن الـورى لا يـصحب

57- واجعلْ جلِيسك سيدا تحظَـى بِـهِ ... حبـر لَبِيـب عاقِـلٌ متـأدب

58- واحذَر مِن الْمظْلُـومِ سـهما صائِبا ... واعلَـم بِـأن دعـاءَه لاَ يحجـب

59- وإذا رأيت الرزق عز ببلدةٍ ... وخشيت فيها أن يضيق المكسب

60- فارحل فأرض الله واسعة الفضا ... طولا وعرضا شرقها والمغرب

61- ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي ... فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

62- خذها إليك قصيدةً منظومةً ... جاءت كنظم الدر بل هي أعجب

63- حِكَم وآداب وجل مواعظٍ ... أمثالها لذوي البصائر تكتب

64- فأصغ لوعظ قصيدةٍ أولاكها ... طود العلوم الشامخات الأهيب

65- أعني عليا وابن عم محمدٍ ... من ناله الشرف الرفيع الأنسب

66- يا رب صل على النبي وآله ... عدد الخلائق حصرها لا يحسب

❊❊❊

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جَرَتْ عَادَةُ الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بالغزل، أو التحسر على ما مر من الصِّبَا، وسُمِّيَتْ هذه القصية بالزينبية؛ لافتتحاها بذكر زينب.

1- صرمت حِبالَك بعد وصلِك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب

صَرَمَتْ حِبَالَكَ: قَطَعَتْ علاقاتِ الوصال واللقاء. و**الصَّرْمُ**: القَطْعُ، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ﴾[القلم:22]، ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم:20]. و**نَسَبَ** تَقَلُّبَ زَيْنَبَ إلى طبيعة الدهر، وشَبَّهَ صَرْمَهَا بعد وصلها بتقلب الزمان. ومن عادة الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بالغزل بأي امرأة يخترعونها: كزينب، أو سعاد، أو سلمى، أو ليلى، وهند، ودعد، والذَّلفا، ولو لم يكن عاشقًا.

2- نشرت ذوائبها التي تزهو بها سودا ورأسك كالثغامة أشيب

3- واستنفرت لما رأتك وطالما كانت تحن إلى لقاك وترغب

من أسباب صَرْمِهَا أنها نشرت ذوائبها، وهي غدائر شعر رأسها، فَرَأَتْهَا سُودًا؛ لأنها ما زالت شابة، وَرَأْسُ صاحبها أَبْيَضُ كَالثَّغَامَةِ. و**الثَّغَامُ**: نَبْتٌ أبيض [قاموس 1001]؛ ولذلك نَفَرَتْ بعد الوصال والوِدَادِ، واستبدلت بالقرب الفراق والبعاد، ولله القائل:

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِنَّ نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

4- وكذاك وصلُ الغانياتِ فإنه ... آلٌ ببلقعةٍ وبرقٌ خُلَّب

الغانيةُ هي المرأة التي تُطْلَبُ ولا تَطْلُبُ، أو الغنية بِحُسْنِهَا عن الزينـة، أَوِ الَّتِي غَنِيَتْ بِبَيْتِ أَبَوَيْهَا، ولم يقع عليها سِبَاءٌ، أو الـشابة العفيفـة، سـواءٌ كانت ذات زوج أم لا، وجَمْعُهَا غَوَانٍ [قاموس:1211]. والآلُ: ما ظهر من السَّرَابِ؛ إِنَّ طَلَبَ وَصْلِ الغَانيات- وأنـت أشـيب- كطلـب المـاء مـن السَّرَابِ، وانتظار الغيث من الْبَرْقِ الْخُلَّبِ. والخُلَّـبُ: الْمُطْمِـعُ الْمُخْلِـفُ، ليس ورَاءَهُ غيث. [قاموس 89].

5- فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مر منه الأطيب

6- ذهب الشباب فما له من عودةٍ ... وأتى المشيب فأين منه المهرب

٧- ضيف ألم إليك لم تحفل به ... فترى له أسفًا ودمعًا تسكب

8- دع عنك ما قد فات في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

اترك الصِّبَا والتصابي؛ فقد تَعَدَّاك زَمَانُهُ، وعليك بالزُّهْدِ، وَتَـرْكِ الجـري وراء الغواني، والملذات؛ فقد فات الأطيب من عمـرك ، وهـو الـشباب، وليس له عَوْدَةٌ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضرع، وقَدِمَ المَـشِيبُ رَغْمًـا عنـك، ولا تستطيع الهرب منه، ولو تَسَتَّرتَ بِالْحِنَّاءِ وَالخَضَابِ الأَسْوَدِ، والشَّيْبُ ضَيْفٌ ثَقِيلٌ أَلَمَّ بك، أي غَشِيَكَ وَأَضْعَفَكَ، وَأَنْهَكَ قُـوَاكَ، ولم تَحْفِـلْ بِـه: أي لم تُعِرْهُ اهْتِمَامًا، ولم تُبَـالِ بـه [مختار ص 145]، لكنـك تبكـي متأسـفًا لقدومه، وتسكب دمع العين أو دم القلب، فَأَنْـصَحُكَ أن لا تطلـب مـا

لَسْتَ له بواجد؛ فما فات فات، والأولىٰ بك أن تجعل من الـشيب مناسـبةً لتَذَكُّرِ ذنوبك، فَابْكِهَـا تَوْبَـةً ونـدما وتَحَـسُّرًا عـلىٰ مـا سـلف منـك مـن الذنوب، فأنت مذنب، وكُلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ.

9- واذْكُر مناقَشةَ الْحِـسابِ فَإنـه لا بد يحصى مـا جنيـت ويكْتـب

10- لَم ينسه الَملكان حِـ نـسِيته بـل أثْبتـاه وأنـت لاهٍ تلْعـب

عليك بالحذر والحيطة من يوم الحساب؛ فالمناقشة رهيبة، وستجد كل شيء جنيته من خير أو شر في صحائف أعمالك قد أُحْصِيَ عليك فيها كُلُّ شاردة وواردة، وكل صغيرة وكبيرة، فقد وكَّلَ الله بك مَلَكَينِ عن اليمين وعن الشمال يُحْصِيَانِ الأَنْفَاسَ، ومَثَاقِيَل الذَّرِ، وأنت لاَهٍ غافل، تعلب ولا تدرك خَطَرَ ما يُسَجَّلُ عليك من الذنوب، والله محيط من ورائهما بما علماه وما لم يعلماه من معاصي الضمائر، مثل معصية الرياء، أو طاعة الإخلاص، ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾[المجادلة:6]، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾[الكهف:49]، ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾[القمر: 52، 53].يستعرض كُلُّ مكلف من إنس وجن شَرِيطَ حياته بالصُّوَرِ المَحْسُوسَةِ الْحَيَّةِ الْمـُتَحَرِّكَةِ، فيرىٰ نفسه في المكان والزمان حين فعل ما فعل مُشَاهَدَةً عَيَانًا بَيَانًا؛ وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[النور:24]. حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ

وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [فصلت:20، 21].

11- والروح فيك وديعـةٌ أودعتهـا ... ستردها بالرغم منـك وتسلب

12- والليلَ فاعلم والنهـار كلاهمـا ... أنفاسنا فيهـا تعـد وتحسب

ابن آدم كالبالون المنفوخ بالهواء يتلاشى عند حدوث خَرْمٍ؛ فالروح العجيبة التي هي من أمر الله، وسِرٌّ من أسرار عالم الغيب تتبخر في لمح البصر عندما يريد اللهُ إِزْهَاقَهَا، وَاسْتِرْدَادَ وَدِيعَتِهِ عندك رضيتَ أم كَرِهْتَ، والليل والنهار بمثابة العداد الذي حُشِيَ فيه عَدَدُ دَقَّاتِ قلب ابن آدم، والأنفاسِ التي يُسْمَحُ له باستنشاقها طوال عمره، وحين يصل العداد إلى الصفر يموت الإنسان، أو أي كائن حي، ويبقى الواحد القهار؛ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:26، 27].

13- وغُرور دنياك التي تسعى لها ... دار حقيقتهـا متـاع يـذْهب

14- وجميع مـا حـصلته وجمعتـه ... حقـا يقينـا بعـد موتـك ينهـب

15- تبـا لـدارٍ لا يـدوم نعيمهـا ... ومـشيدها عمـا قليـل يخـرب

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[الحديد:20]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[فاطر:5]، ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[التغابن:15]، ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[آل عمران:185] وليس بعد وصف الله لها كلام؛ فيجب الاقتصار منها على الحلال، وأن لا يكون الإنسان عبدا للدنيا تسلبه كل معاني الرحمة، والعدل، والإنصاف، والإنسانية؛ فيتحول إلى وحش، وهو يعلم أنه سيتركها لورثته يتقاسمونها، وعليه حسابها وحسرتها، وربما صارت ثروته للأعداء؛ فتبًّا لها من دار تمر مر السحاب، وتخدع كالسراب:

أحلام نوم أو كظل زائل   إن اللبيب بمثلها لا يخدع

إنَّ لله مَلَكَينِ يناديان صباح كل يوم جديد: لِدُو لِلْمَوْتِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ، كان الإمام علي عليه السلام يقول: يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ.. قَدْ أَبَنْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكِ؛ فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ، وَعَيْشُكِ حَقِيرٌ، وَخَطَرُكِ كَبِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَمِنْ بُعْدِ السَّفَرِ وَعِظَمِ الْمَوْرِدِ؛ إنها تَغُرُّ، وَتَضُرُّ، وَتَمُرُّ.

16- فَاسمع هدِيت نصائحا أولاكها ... بر لبيب عاقلٌ متأدب

17- صحِب الزمانَ وأهله مستبصِرا ... ورأى الأمور بما تؤوب وتعقُب

18- أهدى النصِيحةَ فَاتعِظْ بمقَالِهِ ... فَهو التقِي اللوذَعِي الأذْرب

اسمع وفقك الله وهداك نَصَائِحَ خَصَّكَ بِهَا بَرٌّ بِكَ؛ قَصَدَ بِهَا بِرَّكَ، والإحسان إليك، وصلة رحمك، والنَّاصِحُ لبيب ذَكِيٌّ، حَلِيمٌ، فَطِنٌ، عَاقِلٌ، قد نال علما وأدبا، وَصَاحَبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ صُحْبَةَ مُسْتَبْصِرٍ، مُتَأَمِّلٍ، مُعْتَبِرٍ، مُتَّعِظٍ، ورأى وشاهد بكل جوارحه ما تؤول إليه الأمور؛ فالشباب إلى هرم، والصحة إلى سقم، والقوة إلى ضعف، والاجتماع إلى فُرْقَةٍ، والأُنْسُ إلى حزن، وهكذا تتعاقب حوادث الليالي والأيام؛ وقد أهدى لك النصيحة وهي أغلى هدية فاقبلها، واتعظ؛ لأنها من تقي لوذعي: أي ذَكِيٍّ لَمَّاح، وأذرب: أي فصيح اللسان.

19- لا تأمن الدهر الصروف فإنه ... لا زال قِدما للرجال يهذب

20- وكذلك الأيام في غدواتها ... مرت يذِل لها الأعز الأنجب

الدهر متقلب، وحوادثه متجددة؛ فكن على حذر، ولا تأمن صُرُوفَهُ ومصائبه وتقلباتِه، ولعلك قد تعلمت من الحوادث التي مرت بك، أو بأقاربك، أو جيرانك، أو أصدقائك، أو أهل قريتك، أو من تعرفهم، فرأيت وسمعت بعجائب وغرائب، فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ ذَلَّ، وَغَنِيٍّ افْتَقَرَ،

وَمُعَافًى مَاتَ، وَحَبِيبَيْنِ افْتَرَقَا! لو تخيلت المستشفيات في أنحاء العالم ماذا بداخلها من آلام، وأَنَّاتٍ، وَحَسَرَاتٍ، وَآهَاتٍ! **لو تأملت** في المقابر ماذا حَوَتْ، **وكم** من الأجساد في أجوافها تلاشت، إنها عجلة الأيام تدور على العزيز فيذل، والذكي النجيب فيتحير ويتبلد، وتذهب فطنته، وينعقد لسانه، فيستبدل بالعز ذلا، وبالغنى فقرا، وبالنطق خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا، وبالبصر عمى، وبالقوة ضعفا! هل ترى في هذا الكلام إنشاءً أومبالغة؟ أَوْ هِيَ الحَقِيقَةُ المَرِيرَةُ، والواقع الملموس؟. **كان** أوناسيس اليوناني أغنى رجل في العالم، تُقَدَّرُ ثروته في ذلك الوقت أيام الحرب العالمية الثانية بحوالي أربعة مليارات دولار، **وكان** له في كل جزيرة ساحرة متنزه، وفي كل مدينة جميلة قصر أو قصور، وامتلك الطائرات والبواخر واليختات الفاخرة، **وكانت** الجميلات الشهيرات يتسابقن عليه، حتى زَوْجَةَ الرئيس الأمريكي آنذاك، فَصَدَمَهُ الزمان بموت ابنه الوحيد في حادث طائرة؛ فتنغص عيشه، ولازمه الكمد، فانزوى، وانهارت صحته فمات وخلف ثروته لابنته، فتزوجها رجل روسي من أجل ثروتها؛ لأنها كانت قبيحة الشكل؛ فطلقها مقابل جزء من الثروة، **ثم** تزوجها آخر كذلك فطلقها، وذهب بجزء من ثروتها، ثم عُثِرَ عليها أَخِيرًا جُثَّةً هَامِدَةً في حوض حمام بالأرجنتين فتلاشت الثروة الهائلة بموت الفرخة الذهبية، **وكم** مثلها من قصص وعبر! والبقاء لله الواحد القهار.

21- فَعليك تقْوى اللهِ فَالْزمها تفُـز إن التقِـي هـو البهـي الأهيـب

ملازمة التقوى هي الحصن الحصين، وهي حبل الإنقاذ، وكالكابح للسيارة، وما أجمل قول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[الطلاق:2،3]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[الطلاق:4]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾[الطلاق:5]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الأنفال:29]؛ فالفوز، والبهاء، والهيبة تاج على رأس المتقي، وَوِسَامٌ عَلَى صَدْرِهِ.

22- واعملْ لِطَاعتِهِ تنلْ مِنه الرضـى إن المُطِيـع لربِّـهِ لمقـرب

الذي ينفذ لك العمل الذي طلبته منه بصورة متقنة يحوز على رضاك، وكلما أَبْدَعَ وَتَفَنَّنَ فِي جَوْدَةِ عَمَلِهِ شَدَّ إِعْجَابَكَ، وَازْدَادَ اهْتِمَامُكَ بِهِ، وَالحِرْصُ عَلَى بَقَائِهِ، وَسَيُصْبِحُ عِنْدَكَ مِنَ الْـمُقَرَّبِينَ، وهذا أسلوب متبع في نظام الشـركات الناجحة، والمديرين الأكفاء القادرين على اكتشاف المواهب، والتقاط المبدعين، وكذلك في الأنظمة المتطورة والدول المتقدمة يجد المبدعون المتقنون مجالًا وفرصًا سانحةً، وتشجيعا غير محدود، فما بالك بعلام الغيوب، وأحكم الحاكمين، ألا يمنح درجة الرضى للعاملين في رضاه، السائرين على درب طاعته؟! حتمًا سيفعل ذلك بمن عَلِمَ

وَعَمِلَ؛ فالطاعة لله تستلزم المعرفة بشروط العمل المطلوب: فالإيمان بالله تعالىٰ وهو أول الواجبات ينبغي أن يكون قائما علىٰ العلم بأن الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون البديع الفسيح، أوجده من العدم، وهو الذي رتبه ذلك الترتيب المدهش، والتنظيم الدقيق المتقن، وعلمه الواسع محيط بكل صغيرة كبيرة: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:59]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد:4]؛ **لذلك** فكل ذرة من مخلوقات الله تحت رقابته وسيطرته، وفي كلاءته وحفظه؛ فهو القادر، القاهر، الحافظ، القوي، المتين، العليم، الحكيم، البديع، والكون بضخامته المهولة، واتساعه المدهش الذي يقدر بعشـرات المليارات من السنين الضوئية، بل بألوف المليارات، عِلْمًا أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر، **أقول**: إن الكون الكبير المهول لا يكلف الله أي عبء يذكر؛ فإنه كقصاصةِ ورقة صغيرة تحملها الرياح العاصفة، وحاشا الله أن يُشَبَّهَ جَبَرُوتُهُ بهذا؛ فقوة الله فوق تصور العقول، وما دام الله بهذه القوة، والقدرة، والعظمة، والجلال، والعلم -فهو قطعا لا يشبه شيئا من خلقه، ولا يشبهه شيء، قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورىٰ:11]؛ **وقد** جانب الصَّوَابَ الْـمُجَسِّمَةُ الذين أثبتوا لله وجها، ويدين، وعينا، وعيونا، ونحو ذلك، وفَهِمُوا وُرُودَ

هذه الأَلْفَاظِ في القرآن الكريم فهما سَيِّئًا لا يحتمله اللفظ العربي؛ فلا يجوز تفسير قوله سبحانه: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:27] بأن له وجها؛ لأن المعنى: ويبقى هو ذاته. وقوله سبحانه: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:14] بأن له عيونا؛ لأن المعنى: بعنايتنا وحفظنا، ومثل: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[طه:39] أي رعايتي وعنايتي، ولا تعني عينا جارحة، لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:64] ليس معناه أن له يدين؛ لأن المراد إنما هو التعبير عن كَرَمِ الله وَجُودِهِ، والله لا يحتاج عند الإعطاء ليدين ولا لرجلين، ولا لشيء، وإنما هو تصوير لنا لنفهم حسب الأسلوب الذي نتعامل معه نحن حينما نعطي، أو هو من باب المشاكلة لكلام اليهود الذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾[المائدة:64]، وهكذا.

وأخطأ كذلك من اعتقد أن الله يُرَى بالأبصار؛ فهو سبحانه أجل وأكبر من أن تدركه عيون خلقه، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:103]؛ لأن القول بالرؤية يستلزم جسما مرئيا، أو لونا، وإن كان كذلك فيستلزم أن يكون في مكان، وما دام في مكان فهو متحيز، تعالى الله عن كل ذلك، **وقد** قرأت في كتاب«الله يتجلى في عصر العلم» فوجدت علماء الفيزياء والفلكيات ينفون نفيا قاطعا أن يكون الخالق جل وعلا من جنس المادة، **ومن** المستحيل أن يرى، فعليك

بالتأمل في الكون؛ لتعرف شيئا من عظمة الخالق، ولا يَهُولَنَّكَ الإرجافُ، وحَشْوُ الروايات، وكثرةُ المقلدين، وأصواتُ الجعجعة، واقْتَدِ بعقيدة أئمة أهل البيت % ؛ فهم حتى القرن الثالث الهجري مجتمعون مجمعون على عقيدة واحدة هي ما ذكرتُ لك، ثم لا يضر بعد ذلك إن تفرقوا، وذابوا في البيئات والمذاهب، **وقد** حفظ الله تراثهم عن طريق نجم آل الرسول إمام الأئمة القاسم الرسي، وأولاده، وساعدهم على حفظ تراثهم وصيانة عقيدتهم قيام دولة الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي، **وقد وجدنا** عقيدة القاسم وذريته متطابقة مع أئمة الآل في الحجاز، والعراق، ومع الأئمة من آل البيت الذين أقاموا للزيدية دولة العدل والتوحيد في الجيل والديلم، **ووجدنا** من عقائدهم تنزيه الله سبحانه عن ظلم عباده؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[الكهف:49]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[فصلت:46]؛ **والظاهر** أن هذا محل اتفاق، فلا يوجد بين المسلمين من يقول: إن الله ظالم، لكن القول بالجَبْرِ يؤدي إلى هذا القول، والجَبْرُ يعني أن أفعال العباد مخلوقة لله؛ فلا خيار للكافر والفاسق في فعلهما؛ لأن فسق الفاسق أو كفر الكافر مخلوقان فيه مِثْلَ جسمه ولونه؛ **فقلنا لهؤلاء**: إذا كان الحال كذلك فلماذا يعاقب الله الكافرين والفاسقين وهو الذي خلق فيهم فِسْقَهُمْ وكُفْرَهُمْ وَعِصْيَانَهُمْ؟! **فهل** يجوز أن يحاسب الله الأسود على سواده وهو خالق السواد؟ إن هذا لهو

الظلم الكبير!! ولم يجدوا جوابا إلا القول بأن هذا لا يُسَمَّى ظُلْمًا؛ لأنه من الله؛ وهو لم يتصرف إلا في عباده، وهم مِلْكُ يمينه؛ فليس بظالم، وهذا هو الهُرَاءُ بعينه، **فيا ترى** ما هو الظلم الذي تبرأ الله منه ونفاه عن نفسه في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:49]؟! **ومن** عقائد أهل البيت: أن الشفاعة إِنْ حَصَلَتْ فلا تكون للمجرمين الظالمين؛ لأن العدل الإلهي يقضي بأن ينال الإنسانُ جزاءَ ما عمل، وهو كما صرح به القرآن مرارًا وتكرارًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:7،8]، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:123]، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء: 14] **فلو كان** لدى الإنسان أدنى رفق بنفسه لتاب، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[النساء:147] **فكيف** تُطْمَرُ نُصُوصُ القُرْآنِ بِروَايَاتٍ غَثَّةٍ، مثل قولهم: إن النبي ﷺ قال: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[1]،

---

(1) أبـو داود5/106رقـم4739، الترمـذي 4/539رقـم2435، وأحمـد بـن حنبل4/425رقم1322، والحاكم2/382، قال الذهبي في الميزان1/466 في ترجمة: صديق بن سعيد الصوناخي التركي عن محمد بن بصير المروزي عن يحيى عن مالك عن نافع

ومثل: «مَنْ قَالَ: لَا إِله إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»!![1]، وتضخمت حتى تغلبت على القرآن الكريم؟! ولعلها تَسَرَّبَتْ من كعب الأحبار وأمثاله، ولعل القول بالخروج من النار مما تسرب من الإسرائيليات؛ لأن الله سبحانه حكى عنهم قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 24]. أما القرآن فهو جازم بالبقاء الأبدي، والخلود الدائم: كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء: 14]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:23] ومن حُسْنِ طاعة الله مَحَبَّةُ أَوْلِيَائِهِ، وَمَعَادَاةُ أَعْدَائِهِ، فَلَوْ عَبَدتَّ الله على الشوك، أو الحصى الحامية، ثم نَاصَرْتَ أَعْدَاءَهُ مِنَ الظَّالمين بِلِسَانِكِ، أَوْ بِيَدِكَ، أَوْ بِقَلْبِكَ، أَوْ بِمَالِكَ- فإن ذلك كافٍ في مَحْوِ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ، وكذلك حين تعادي وَلِيًّا لله ، ولا سيما مناصبة آل بيت النبي ﷺ العداء بدون وجه حق، كما يفعل الملوك الظلمة بآلِ البيت من الظلم؛ لخوفهم على كراسيهم من

عن ابن عمر مرفوعا:«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». هذا لم يروه هـؤلاء قـط، لكـن رواه عن صديق من يُجهل حاله. أحمد513/5، وينظر هامش الينابيع ص512.

(1) البخاري برقم ٢٢٥٨، ٥٩١٣، ومسلم ١/ ٩٥ رقم ٩٤، والمعجم الأوسط ٣/ ٢٠٥ رقم ٢٩٣٢، وشعب الإيمان ١/ ٣٠٥ رقم ٣٤٧، وصحيح ابن حبان ١/ ٣٩٢ رقم ١٦٩.

طموح الهاشميين كما يقال، فلو حصل طموح من بعضهم ولو مشروعا فلا يبرر تعميم سَجْنِ مَنْ تيسر منهم من المسجد، والشارع، والمدرسة، ومحاصرتهم في أرزاقهم، ووظائفهم، والتعامل العنصري ضدهم، فما يدخل أحد منهم في الغالب كلية عسكرية إلا إذا غير اسمه، فإذا كان آخر اسمه "شرف الدين" فيقف عند "شرف" ويحذف "الدين"، وهكذا.

أقول: قد أفهم عداء السلطان، لكنني لا أفهم عداء بعض الحركات الإسلامية، ولا أدري ما هو السبب في حماسهم لمعاوية، ونَظَرِهِمْ شزرًا لعلي وبنيه؟! إني لا أقول هذا جزافا؛ فإني مطلع خبير، ومن غير المتيسر ذكر أمثلة؛ فهي مستعصية على الحصر، ولكن لا بأس بذكر بعض أمثلة:

1- كان أحد الشباب وهو هاشمي من أرق الناس أخلاقا يدرس عندي، في العطلة الصيفة بالجامع الكبير بصنعاء، فتم خطفه ضمن عمليات جلب الشباب إلى أفغانستان، **وبعد** سنوات دعاني جده الوقور -الذي يحبني كثيرا؛ بسبب نشاطي في إنعاش تراث المذهب والعناية بالطلاب -دعاني إلى عرس أحد أحفاده، **فلما** حضرت تفاجأت بحفيده العائد من أفغانستان الذي كان يدرس عندي ويحبني كثيرا **حين** وجدتُه لا يطيق النظر في وجهي، وينظر إِليَّ بلؤم وحقد! **فقلت:** أنا ضيف عندك، فإذا كان الإسلام حاشاه هو الذي شوه أخلاقك في أفغانستان، وغسل دماغك، وجعلك مخزن غِلٍّ حتى على

العلماء، ولا سيما مَنْ كان أستاذك في يوم ما، ولم تر منه إلا كل خير ما عدا أنه يحب عَلِيًّا ويكره معاوية من باب الحب في الله والبغض في الله، فما الذي سلبك حتى آدميتك ورجولتك؟ فالضيف ضيف: صديقًا كان، أو عدوًّا؛ لا بد أن ترحب به، وأن تكرمه، **وهذه** الوقائع والفجائع ليست مقصورة على هذا؛ فهي عامة شائعة لكل من يلتحق بمعهد، أو جامعة، أو تحفيظ قرآن عند هؤلاء.

2- حضرت مناسبة موت لأحد الأصدقاء، **وكان** من ضمن من عزيناهم أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، وهو يتمتع بجسم يقارب الفيل، وهو للأسف طبيب، ولكنه يحمل مرضًا خبيثًا هو مرض الكراهية، وقلة الأدب، وسوء الأخلاق، فكنت ثقيلا عليه، وعَهِدَ مع عمه الذي أفاض عليه هذه الثقالة أن لا يصل الميكرفون إلى يدي بعد قراءة "يس"، وتأكد لي أن هذا الفيل البشري مُصَابٌ بداءِ الحقد لكل من يُفَضِّلُ عَلِيًّا على معاوية! **ومن العجيب** أني حضرت قبل كتابة هذه السطور في مناسبة عرس أحد أسرته، فلما رآني ولى مُـدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ، وكأنه عهد إلى ضارب الطبول أن يدقوا لكل داخل ما عدا رئيس الشيعة الكبير والخطير الذي هو أنا، مع أن هذا المخلوق يزعم أنه من آل اليت، أنا لا أدعي أن محبتي شَخْصِيًّا من الإيمان، ولكن المصيبة في الكراهية لي بسبب محبتي وأمثالي لِمَنْ حَبُّهُ إيمانٌ وبغضه نفاق، وهو إمام المتقين علي سلام

الله عليه وكرم الله وجهه، وَأَحَبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَعَادَىٰ مَنْ عَادَاهُ، وهو حب شرعي متقيد بالدليل، **وقد** برهنت على صدق قولي بتحقيق ونشر كتاب «**الروضة الندية شرح التحفة العلوية**»، والتحفة قصيدة من اثنين وسعبين بيتا في فضائل الإمام علي عليه السلام مشروحة بالروضة، كلاهما لعالم السنة الشهير على مستوى العالم الإسلامي، وهو السيد البدر الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، **ولئلا** أكون متحاملا أدعو من يقرأ كلامي هذا للقيام بجولة استطلاع، **ويسأل هكذا**: ما رأيك في الدكتور المرتضى؟ وأتوقع أن يعود بشبه اتفاق أني مبتدع، هالك، رافضي، شيعي، يسب الصحابة، يسب عائشة، ونحو ذلك من الهراء والافتراء والسماجة الصادرة عن جهل، وتقليد أعمى، وتعصب بغيض بدون أي سبب، فلو حاورني أحد ووجد ما يشاع عني لساغ له أن يقول، **لكن** كتبي ناطقة بالترضية عن الصحابة ما عدى معاوية واشياعه، فالحكم لله؛ إذن فالطاعة لله ينبغي أن لا تكون شبيهة بطاعة من حارب عَلِيًّا من الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

أما الطاعات الأخرى مثل الصلوات فلا بد أن تتعلم لها أذكارها وأركانها، فتعرف الوضوء، والغسل، وشروط الصلاة، وتعرف مفطرات الصوم، ومناسك الحج، وما يجب من الزكاة، وتعرف حقوق المسلم على المسلم، وحقوق الوالدين، والزوجة، والأبناء، والحيوان، والماء،

والهواء، والتربة، وهكذا، وهي أمور سهلة لمن يريد لنفسه الكمال؛ لأنك إن لم تتعلم فربما عَصَيْتَ اللهَ بِنَفْسِ الطَّاعَةِ بِسَبَبِ الجَهْلِ.

23- واقنع فَفي بعض القناعةِ راحةٌ   واليأس مما فات فهو المطلب

24- وإذا طَمِعت كُسيت ثوب مذلةٍ   فلقد كُسي ثوب المذلةِ أشعب

في المثل الصنعاني: عدمُ قضاءِ الحاجة قضاءُ حاجة، بمعنى أنك تيأس وتستريح، وقد أرشدنا الله سبحانه إلى التحلي بالرضى حين قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[الحديد:23]؛ لأن نهاية كل شيء إلى الزوال؛ فلا تُسَلِّمْ زمامك بيد الطمع فتكون كَأَشْعَبَ، فتُتْعِبَ وتَتْعَبَ، وأَشْعَبُ هذا طَمَّاعٌ ضُرِبَ به المثل في الطمع، فقد قال عن نفسه: وصل بي الحال إلى أَنِّي كنت أطلب من صانعي الأوعية أن يجعلوا حجمها كبيرا؛ فربما أُهْدِيَ لي فيها فاكهة أو طعام فتتسع للكثير، والطامعون يُشْبِهُونَ حيتان البحر، والجراد، لا يشبعون من شيء بل يزدادون هلعا وجوعا:

كَالحُوتِ لَا يَثْنِيهِ شَيْءٌ يَلْقَمُهْ   يُصْبِحُ ظَمْآنَ وَفِي البَحْرِ فَمُهْ

وهل تشبع النار من كثرة الوقود، أو تَرْوَى السباخ من تدفق الماء، أو تمتلئ البوالين المخرومة من الهواء؟! لعن الله الطمع الذي يجعلك تَفْقِدُ كرامتك ونخوتك وحياءك، وقبح الله الطمع الذي يَذْهَبُ بِدِينك ومُرُوءَتِكَ ويقذف بك في النار، أخزى الله الطمع الذي يجعل بطنك كَمَقْلَبِ القُمَامَةِ؛

فيمنعك: من أداء الزكاة، وبذل ميراث أخواتك ونحوهن من ذوي الأرحام، وأكل مال الوقف، والرشوة، والربى، ومال الغير!!.

25- وتوق مِن غَدر النساءِ خِيانةً ... فَجمِيعهن مكَائِد لَك تنصب

26- لاَ تأمن الأُنثَى حياتك إِنها ... كَالأُفعوان يراع مِنه الأَنيب

27- لاَ تأمن الأُنثَى زمانك كُله ... يوما ولَو حلَفَت يمِينا تكْذِب

28- تغرِي بِلِين حدِيثها وكَلاَمِها ... وإِذا سطَت فَهي الصقِيلُ الأَشطَب

الأفعوان: الحنش ذو الأنياب التي يَعَضُّ بها الجِلْدَ حتى يصل إلى الدم ثم يلدغ بلسانه المليء بالسم القاتل؛ فيسري في الجسد حتى يشل الجهاز العصبي، ويؤدي بالملدوغ إلى الوفاة. **وَيُرَاعُ مِنْهُ**: أي يخاف حتى الحيوان المفترس، **الأنيب**: أي ذو الأنياب. **والصَّقِيلُ الأَشْطَبُ**: هو السيف المصقول المشحوذ الحاد.

نعم: قد تُسْتَخْدَمُ الأنثى في الإغراء والإيقاع بالخصم؛ **فالمخابرات** تجند من الفاتنات مَنْ يُوقِعْنَ بكبار الشخصيات في غرامهن، ويستخرجن منهم أَثْنَاءَ المضاجعة أَسْرَارَ بلادهم، **وحين** يراد من الزعماء العرب توقيع اتفاق مع شركة أو نحوها تُقَدِّمُ الوَرَقَةَ ساحرة لعوب؛ فَيُوَقِّعُ وَفَمُهُ فَاغِرٌ، وَعَيْنَاهُ مُحَدِّقَتَانِ إِلَى المفاتن التي تسلب العقل، وتعطل التفكير، ولا يدري على ماذا وَقَّعَ! فهذا من مكر النِّساء الذي استعظمه الله سبحانه

فقال: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[يوسف:28]، **وقد** يستخدم جسد المرأة في الدعاية الفارغة، ويتاجر بها في شركات الجنس، وتوظف سكرتيرة للاستمتاع بها، **وقد** تُهَيِّجُ الْـمَرْأَةُ زَوْجَهَا على أخيه أو جاره في أمر تافه، **لكني** لا أوافق على ما تحمله الأبيات من تعميم وتشاؤم، **فليس** كل النساء غادرات، خائنات، ولا حيات وعقارب، ولا سكاكين وسيوف؛ **فالكثير** منهن رياحين، وبهجة حياة، ونور بيوت، **ومنهن** القانتات، العابدات، الصائمات، المؤمنات، المتصدقات، **ومنهن** الوفيات، الصادقات، الصابرات. **أُخْبِرْتُ** أن عذراء تزوجت فوجدت زوجها عاجزًا عن الجماع فما كَشَفَتْ لَهُ سِترًا حتى مات، **وعندما** تقدم لخطبتها آخر على أساس أنها ثَيِّبٌ، فقالت لأبيها: إنها عذراء لم تغتسل من جنابةٍ وطءٍ أبدا! **وهناك** كثير من أمثالها، **ومنهن** من تُفَضِّلُ البقاء مع أطفالها إذا مات زوجها وتترمل حتى ولو لم تنجب إلا واحدا، وتظل وهي في عز شبابها وجمالها وَفِيَّةً لذكريات زوجها الفائت، وشريكها الغالي؛ **فَأَقَلُّ** أحوال النساء أنهن كالرجال: في الوفاء، والغدر، والصدق، والكذب، والخير، والشر. ولو صحت هذه الأبيات عن علي عليه السلام فتحمل على بعض من النساء.

29- وابدأ عدوك بالتحية لا تكن ... منه زمانك خائفا تترقب

30- واحذره يوما إن أتى متبسما ... فالليث يبدو نابه إذ يغضب

التحية والتسليم تعمق المحبة بين النـاس؛ **ففـي** الأثـر: «سَـلِّمْ عـلى مَـنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»، **وقال** ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَـلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُــوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(1)؛ فَأَلْقِ السلام ولو على العدو؛ لتقلل من شره، وتُقَلِّمَ من أظفار حقده، وقد يبتسم لـك العـدو مُخَادَعَـةً كتكـشيرة الليث وهو الأسد فاحذره.

31- إن الحقود وإن تقـادم عهـده فالحقد باقٍ فـي الـصدور مغيـب

نعوذ بالله من حقد الحاقدين، وحسد الحاسدين، وشر خلق الله أجمعـين؛ فالحقد يبقى كامنا كالنار تحت الرماد، ولله دَرُّ القائل:

وَقَدْ يَنْبُتُ الْـمَرْعَى على دِمَنِ الثَّـرَى وتَبقَى حَـزَازَاتُ النُّفُـوسِ كَمَـا هِيَـا

يعني أن العشب الأخضر قد ينبت فوق الدِّمَنِ التي هي العَـذِرَةُ يغطيهـا ويسترها، أما حزازات النفوس وهي أحقادها، ونار الثـأر فيهـا- فتبقـى

---

(1) مسلم 74/1 رقم 54، وأبو داود رقم 5193، والترمـذي 52/5 رقـم 2688، وابـن ماجـة 26/1 رقــم 68، و 1217/2 رقــم 3692، وابــن أبي شــيبة 248/5 رقــم 25742، وأحمـد 447/3 رقـم 9715، ورقـم 10181، و 10436، وعبـدالرزاق 385/10 رقــم 19438، وابــن حبــان 471/1 رقــم 236، والبيهقــي في الــسنن 232/10، وفي الـشعب 423/6 رقـم 8745 ، والبخـاري في الأدب ص 340 رقـم 980، والبزار 192/6 رقم 2232، وأبو يعلى 32/2 رقم 669، وعبـد بـن حميـد ص 63 رقم 97.

متوقدة لا تخبو.

32- وإذَا الـصدِيق رأيتـه متملقًـا ... فَهـو العـدو وحقـه يتجنـب

34- يلْقَاك يحِلف إنـه بِـك واثِـق ... وإذا تـوارى عنـك فَهـو العقْـرب

35- يعطِيك مِن طَرفِ اللسان حلاوةً ... ويروغُ عنك كَمـا يـروغُ الثعلـب

36- فَاختر قَرِينك واصطَفِيهِ تفَـاخرا ... إِن القَـرِين إِلى الْمقَـارِن ينـسب

إذا كانـت الـصداقة عبـارة عـن تمثيـلٍ وتَـصَنُّعٍ كـالطلاء فـوق جـدران المرحاض فلا فائدة منها، وإذا كان الـصديقُ مِـرْآةً في الوجـه وَمِقَـصًّا في القفا فلا خير فيه؛ فَأَحْسِنِ اختيار الأصدقاء مـن ذوي المعـادن النفيـسة، ممن يصدق عليه قولُ القائل:

إِنَّ أَخَـاكَ الحَـقَّ مَـنْ كَـانَ مَعَـكْ ... وَمَــن يَــضُـرُّ نَفْـسَهُ لِيَنفَعَــكْ

وَمَـن إِذَا رَيْـبُ الزَّمَـانِ صَـدَعَكْ ... شَــتَّتَ فِيــكَ شَــمْلَهُ لِيَجْمَعَــكْ

وَإِنْ غَــدَوْتَ ظَالِمًــا غَــدَا مَعَــكْ

لقوله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِـمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُـولَ الله هَـذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِـمًا؟ قـال: «تَكُفُّـهُ عَـنِ الظُّلْـمِ فَـذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»(1)، وما أحسن قول من قال:

---

(1) البخاري ٦/ ٢٥٥٠ رقم ٦٥٥٢، وسنن الترمذي ٤/ ٥٢٣ رقم ٢٢٥٥، و البيهقي في السنن ٦/ ٩٤، والطبراني في الأوسط ١/ ٢١٠ رقم ٦٧٩، وشعب الإيمان ٦/ ١٠١ رقم ٧٦٠٦، وصحيح ابن حبان ١١/ ٥٧١ رقم ٥١٦٧.

وَلَـيْسَ صَـديقًا مَـن إذَا قُلْـتُ قَوْلَـةً تَــوَهَّمَ فِي أَثنَــاءِ مَوقِعِهَــا أَمــرًا
وَلَكِنَّــهُ مَــنْ لَــو قَطَعْــتُ بَنَانَــهُ تَوَهَّمَــهُ نَفْعًــا لِمَــصْلَحَةٍ أُخْــرَى

وقول آخر:

صَدَيقِي الَّذِي يُرْجَـى لِكُـلِّ مُلِمَّـةٍ تُــؤَرِّقُنِي يَوْمًــا إِذَا النَّعْــلُ زَلَّــتِ
رَأَى خُلَّتِي مِنْ حَيثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَـت قَـذَى عَيْنَيـهِ حَتَّـى تَوَلَّـتِ

فاختيارك للصديق المهذب يدل على أصلك أنت، فقد قيل:

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِـهِ فَكُــلُّ قَــرِينٍ للمُقَــارِنِ يُنْــسَبُ

إن الطيور على أشكالها تقع، وفي **الأثر**: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(1)، الأصدقاء ثروة، فاكتنز منها ما استطعت، ولا تعجز؛ **قال الإمام علي** عليه السلام: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ. **والخلاصة**: فَكَسْبُ الأَصْدِقَاءِ يكمن في حبك للغير، وحرصك على مساعدة الناس بما تستطيع باليد، بالمال، بالكلمة، بالموقف، بأي شيء، ولو أن تُفْرِغَ مِنْ إِنَائِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ؛ كما قال ﷺ : «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ

---

(1) سنن الترمذي 589/4 رقم 2378، وسنن أبي داود ٤/ ٤٠٧ رقم ٤٨٣٥.

الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»(١)؛ كما قال ﷺ، فاقتد بنبيك ﷺ الذي مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:4]، وقد قال ﷺ:«لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ، وَحُسْنُ خُلُقٍ» [مصنف ابن أبي شيبة 158/5].

37- إن الغني من الرجال مكرم   وتراه يرجى ما لديه ويرهب
38- ويبش بالترحيب عند قدومه   ويقام عند سلامه ويقرب
39- والفقر شين للرجال فإنه   يزرى به الشهم الأديب الأنسب

هذه هي مقاييس الناس، فَكُنْ مؤمنا، غَنِيًّا، قويا؛ فـ«المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»، وبإمكانك: ذكرا كنت أم أنثى أن تكون غنيا، أعني ليس كَسْبُ المال مستحيلا؛ بشرط أن تتبع الخطوات التالية:

1- إن لم تكن ذكيًّا فكن مثابرًا، ولا ترضى لنفسك إلا بالمستوى الأول في الدراسة؛ لأن هذا سيفتح بابا من أبواب الرزق.

2- الكسل أبو الفقر وأمه، فكن أنشط من النملة، وأكثر حركة من النحلة، وأصبر من الحمار والجمل.

3- لا تبذر بما يحصل لك قلَّ أم كثر؛ فالاقتصاد نصف المعيشة.

---

(1) سنن الترمذي 339/4 رقم 1956، والطبراني في الأوسط 183/8 رقم 8342، والبيهقي في شعب الإيمان 220/3 رقم 3377، وابن حبان في صحيحه 286/2 رقم 529.

4- حاول استثمار ما معك وإن قل؛ فالبِنْتُ يمكن أن تجمع من سلام الأعياد، ومن بعض المصروف وتشتري قطعة ولو صغيرة من الذهب؛ بحيث تتعرف على قيمة الثروة، ولذة امتلاكها، والولد يمكنه تجميع ما قدر عليه ؛ ليشعر بأنه قادر على امتلاك المزيد؛ فالشيء ولو قَلَّ أَحْسَنُ من لا شيء.

5- لا تفكر وأنت في بداية مشوار حياتك في اقتناء الأشياء الثمينة، كساعة أو جوَّال يكلف مبلغا كبيرًا ويصبح رخيصا بعد أيام، وليس له من غرض سوى الاستعراض؛ فالمهم أن تتواصل بأي جهاز، وأن تعرف الوقت بساعة رخيصة، ولا تتكلم بالجوال وعندك خط داخلي مجاني، أو تثرثر فيما لا فائدة فيه، أما أن تتخلص من أي مبلغ يدخل جيبك في شراء قات، ودخان، ومشروبات غازية-فستظل فقيرًا محتقرا بائسا، قالوا في المثل: حَبّهْ مَعَ حَبّه وَكَالَتْ، وَقُطْرَهْ مَعَ قُطْرَه وَسَالَتْ.

6- اعمل أي شيء تقدر عليه؛ فلا عيب في العمل، وإنما العيب في الخمول.

7- إن كنت تملك أرضًا زراعية فازرعها، واعمل خزانا لماء المطر.

8- إن لم يكن لك هدف تسعى للوصول إليه فستظل تدور في حلقة مفرغة؛ فالهدف مهم جدًّا جدًّا.

ما هو هدفك أيتها الفتاة؟ إن كنتِ تهدفين لتكوني ربة بيت ناجحة فتعلمي إدارة البيت، ولا تتركي شيئا يمكن تعلمه إلا سَبَقْتِ إليه؛

لتكوني خبيرة في صنع الأكل الشهير الشهي الصنعاني: من سبايا، وبنت الصحن، وسُوسِي، وشفوت، ومحشي، وخبز، وملوج، وخلاف ذلك؛ فهذا يجعلك مرغوبة مطلوبة، وعندما يُعرف عنك أنك بنت نشيطة، ودودة، خَدُومَةٌ، تسبقين أمك إلى العناية بالأطفال، وتبديل ملابسهم ، وغسلها، وتنظيف البيت، وترتيبه بسرعة، ومعرفة، وخبرة، وحرص على الوقت؛ فإنك ستكونين أنفق من الذهب، ولو أخبرتك كيف كانت والدتي تفعل وهي أمية طبعا ، ولكن طباعها تفوق الجامعية بمراحل، وكان جدولها اليومي كالتالي:

1- تبدأ بصلاة الفجر. **2**- تتفقد أطفالها. **3**- تذهب لجلب تَنَكَةِ ماء من الغيل تحت القرية بنصف ساعة، أو من البرك رأس الجبل من ماء المطر. **4**- إصلاح الفطور، وَإِصْلَاحُهُ لا يعني الخروج إلى البقالة أو المطعم لشراء وجبة جاهرة، بل تطحن، وتعجن، وتخبر، وتحلب البقرة، وتتفقد أحوال الحيوانات: من ثور، أو عجل، وشياه، أو ماعز، وحمار، ونحو ذلك، وتقدم للأسرة أكلا طازجا. **5**- تجلب مزيدًا من الماء لتملأ القلة الكبيرة والقدور المتعددة الأغراض: فمنها للشرب، ومنها للصلاة، ومنها للغسيل. **6**- قد تذهب للاحتطاب وتعود بحزمة كبيرة على رأسها مع زميلاتها من أماكن بعيدة يسافرن ساعة أو أكثر، وقد تذهب لجمع الأعلاف للحيوانات. **7**- تجهز وجبة الظهر، من اللحوح،

أو القُـرَمِ؛ فـاللحوح يحتـاج أولا إلى جـش الحـب بـالمطحن، ثُـمَّ يُبَـلُّ الجشوش بين الماء لمدة ليلة، ثم يُسْحَقُ عبر الراهية، وهي تـشبه المطحـن إلا أنها مخصصة للحب المجشوش المبلل ليخرج منها كأنه عصير المربى، ثم يترك يومًا وليلة حتى يَتَخَمَّرَ، ثم يقدم الوعاء الكبير إلى الصُّلَّا، وهـي وعاء من الفخار واسع حوالي نصف متر، مـستوي القـاع، ويعمـر تحتـه بارتفاع نصف متر، ويترك مدخل مُدَوَّرٌ قَـدْرَ (30×30سـم) لإدخـال الوقود، ومن الـداخل يفـتح كـوة صـغيرة إلى الـسقف تـسمى بلهجتنـا «مَذْخِير» يخرج منها الـدخان وتـساعد عـلى الاشـتعال، وعنـدما تـصير الصُّلاَّ حامية تغرف بوعاء عبارة عـن دُبْيَـةٍ صـغيرة مـن القَـرْعِ ، يُقَـصُّ الثلث من رأسها، وتخرق من أسـفلها بقـدر مـا تـسده الأصـبع، وهـذا الوعاء مُقَدَّرٌ لِحَمْلِ سَائِلٍ يُغَطِّي مَسَاحَةَ الصُّلَّا بطبقة رقيقة، وتبدأ ببراعة بإزاحة الأصبع من الثقب لينزل كأنه حبل، وتلويه على قاع الـصُّلَّا تبـدأ بأطرافها وتنتهي بالوسط، ثم تغطيها لمدة دقيقة فتنقلهـا لحوحـة شـهية، نسميها بلهجتنا عُقْدَةً، وهكذا حتى تصنع خمسين أو مائـة حـسب عـدد الأسرة؛ فاللحوح وجبة الظهر والمـساء. **8-** تـذهب أحيانـا بالأكـل إلى العمال في الحقول البعيدة عن القرية بميل أو أكثر، وتعـود بحزمـة كبـيرة من الحشائش للبقر ونحوها، وترجع لإنجاح عمـل البيـت ومـا يُحَـضَّرُ لليوم الثاني، والخلاصة وأنـا أسـوق هـذا لتـاريخ الـتراث الـذي يجهلـه

النشئ، فلا أبالغ إن قلت: إنها وأمثالها كانت تقوم بمفردها بمثل ما تقوم به خمس من الصينيات أو اليابانيات.

ويمكن أن تكوني سيدة أعمال، أو خبيرة كمبيوتر، أو تجيدين عدة لغات، أو طبيبة، أو أي موهبة تضيف إلىٰ جمالك كمالًا وبهاء؛ لئلا تكوني مرغوبة جسديًّا فقط، بل أكملي جمالك بالدين، والمال، والحسب، ولا يغنيك أن تكوني ابنة فلان؛ فَالصِّفَاتُ الجَمِيلَةُ وَالكَمَالُ التي حصلت عليها بالجد والتفوق والتخطيط والعقل أهم بكثير.

وأنتَ أيها الشاب فلا يكون هدفك أقل من أن تكون مرموقا عِلْمِيًّا، حاصلا علىٰ منزل، ومصدر دخل، ووسيلة نقل. والحُصُولُ علىٰ أكثر من ذلك بطريقة مشروعة ممكن، وليس مستحيلا طالما واستحضرت قلبا يقظا، وعقلا ذكيا، وإقداما،وتخطيطًا، وارتباطا بالله سبحانه؛ فَاتَّبِعِ الخطوات التالية:

1- اكتشف مواهبك مبكرا واستثمرها: فقد تكون صاحب صوت جميل فاشترك مع المنشدين في حفلات الأعراس وتحصل علىٰ مكافأة. **2-** تعلم هندسة أجهزة الميكرفونات؛ فتستفيد في المناسبات مع المنشدين مالًا. **3-** تعلمتزيين السيارات التي تحمل العرائس؛ فإنها لا تكلف شيئا، وتُدِرُّ دخلا.**4-** تعلم هندسة تحويلات تلفون وتركيبها ، وستكسب عشرات الألوف. **5-** اصنع الدواليب الخشبية وغرف النوم.

6- تعلم الديكور والطلاء. 7- حاول الدخول في مقاولات صغيرة. 8- تعلم البناء، والسباكة، ونحوهما من الأعمال المربحة. 9- ازرع. 10- اتجر. 11- تحرك في أي عمل؛ فالمجالات مفتوحة، وشيء أحسن من لا شيء، ومن الأجمل بالإنسان أن يكون مؤمنا، موسرا، محترما، يَقْدِرُ على مساعدة الآخرين، ولا يستجدي أحدا، وإذا رغبت في تكريم الناس لك فإما أن تكون موظفا كبيرا تدخل مكان المناسبة ومعك مجموعة من العسكر؛ فيقوم الناس لك، أو على الأقل يلوون أعناقهم نحوك، كما يفعل أصحاب الهنجمة الزائفة، وإما أن تكون من أصحاب الملايين والشركات العابرة للقارات، وحينئذ يتمنى كل واحد أن تجلس مكانه، أو يفسح لك ليجلس بجوارك، أو تكون من مشاهير الرياضيين، أو النجوم، أو ما شابه ذلك، أو تكون نشيطا في التدريس، والوعظ، والخروج إلى القرى والمساجد حتى يتعرف عليك الكثير من الناس، ويعجبون بفصاحتك ونصائحك، أو تكون ماهرًا في العلاقات الاجتماعية، وكسب الأصدقاء، فإن لم ترغب في سماع الترحيب ، ولا حرارة الاستقبال، ولا يحزنك تجاهل الناس لك، واحتقارهم لقدرك- فكن ما شئت واجلس حيث شئت؛ فأنت تشبه الموتى والسلام.

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ   مَا لِجُرْح بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

وإما أن تكون من عباد الله الذين لو أقسموا عليه لأَبَـرَّهُمْ المغمـورين المطمورين الذين لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ.

40- واخفِض جناحك للأقارب كلهم   بتـذلل واسـمح لهـم إن أذنبـوا

إن كان القريب أُمًّا أو أبا فأطعهما، ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[الإسراء:24] واعرف أن طاعتهما مفتاح الفلاح، وإن كانوا أعمامًا وعماتٍ وإخوةً وأخواتٍ وأخوالاً وخالاتٍ ونحو ذلك فَصِلْ رحمهم، وتواضع لهم.

41- ودع الكَذُوب فلا يكُـن لـك   إن الكَذُوب لبِئس خِـلا يـصحب

هَلْ هناك شَرٌّ من الكذب وأَخْبَثُ طبعا من الكذاب؟ فمصاحبة كلب أجرب خير من مصاحبة كذوب.

42- وذَر الحسود ولو صفا لك مرةً   أبعِـده عـن رؤيـاك لا يـستجلب

اترك مصاحبة الحسود ومقاربته؛ فهو مثل جهنم: إما أن تكون مشتعلة، أو تخبو تحت الرماد، وكذلك الحسود ولو تظاهر بالصفا، والمودة، فَأَبْعِدْهُ عَنْ نَاظِرِكَ، ولا تجلب بمجاورته الهم على قلبك.

43- وزن الكَلام إذا نطقْت ولا تكُن   ثرثـارةً فِـي كُـل نـادٍ تخطُـب

44- واحفَظْ لِسانك واحترز مِن لفْظِـهِ   فَـالمرءُ يـسلم باللـسان ويعطُـب

ورد في القرآن الكريم ما يكفي العاقل؛ قال سحانه: مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ

﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18] فهل بعد هذا من تحذير من الثرثرة بدون وزن ولا مراقبة لله؟ كذلك قوله سبحانه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:114] ، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70، 71]، وغيرها من الآيات التي تحذر من الكذب، والنميمة، والغيبة، وشهادة الزور، وتحث على الصدق، وقول الحق، ومن السنة قوله ﷺ لمعاذ : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا» وأشار إلى لسانه، فقال: أَوَنُؤَاخَذُ بِحَصَائِدِ أَلْسِنَتِنَا؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»؟! وقال الإمام علي عليه السلام: المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، وهي كلمة لا توزن بها كلمة، ولا تدرك لها قيمة، وقال عليه السلام: لِسَانُ العَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ؛ فاحذر زلاتِ اللسان، فقد يقوم من عَثَرَتْ به قَدَمُهُ، ولا يقوم من عَثَرَتْ به لسانه، واعلم أن الثرثرة ما لم تكن في إرشاد، وتعليم، ووعظ، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو إصلاح فهي ثقالة وسماجة وكِسَّارُ راس، قالوا: إذا كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب، فباللسان تسلم من المكائد إن صَمَتَّ، وقد يعني تسلم: تُلْدَغُ؛ فالملذوغ يسمى سليما، وباللسان تَعْطَبُ: أي تتلف إن

ثرثرت بما يضرك، ولا سيما في أيام الفتن.

45- **والسر فاكتمه ولا تنطق به ... فهو الأسير لديك إذ لا ينشب**

46- **واحرص على حفظ القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يصعب**

47- **إن القلوب إذا تنافر ودها ... شبه الزجاجة كسرها لا يشعب**

48- **وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذب**

اكتم السر ولا تكن كالزجاجة تكشف ما وراءها؛ فالسر ما دام بداخلك فَهْوَ أَسِيرُكَ فَإِنْ أفشيته صرت أسيره. ومعنى يُنْشَبُ: أي ينبش. وإن أذى القلوب حاصل: إما من هَتْكِ مكنونها، والبَوْحِ بأسرارها؛ فلا تُذِعْ سِرَّ مَنْ أَوْدَعَكَ سِرَّهُ فينفِرَ عنك نُفُورًا يصعب استرجاعه، كَشَعْبِ الزجاجة المكسورة متعذر، وإما أن يحصل الأذى بأي وسيلة موجعة. والشَّعْبُ: الإصلاح، وكذلك السر يبدأ بِحَبَّةٍ، وتزيده الإشاعات والتخمينات حتى يصير قُبَّةً؛ فَاطْوِ سِرَّكَ فِي ضَمِيرِكَ.

49- **لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... الرزق بل يشقى الحريص ويتعب**

50- **ويظل ملهوفًا يروم تحيلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب**

51- **كم عاجز في الناس يؤتى رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب**

الحرص المحرم أن تبخل بما فرض الله عليك: من زكاة، وصدقة، تُغِيثُ بها الملهوفَ، وتُفَرِّجَ عن المكروب، وتَسُدُّ الرَّمَقَ، وتُعِينُ ذا الحاجة،

وتَصِلُ الرحم؛ فَتَجَنَّبِ الحرص فإنه متعب مثل التَّيَبُّسِ عند قضاء الحاجة، ومرهق لك إذ تخرج روحك مع كل درهم يخرج، وتعود مع الدرهم العائد؛ فتظل تحيا وتموت بدون أن يزيد الحرص في رزقك مقدار ذرة، بل تظل ملهوفا تُقَلِّبُ وجه الحيلة في جلب الرزق، وتعود بِخُفَّيْ حنين، وحنين هذا كان بائع أحذية، فساومه أعرابي طويلا ولم يشتر منه؛ فأغاظه، فأخذ حنين الخفين وعلق واحدا على شجرة في طريق الأعرابي، فقال: ما أشبهه بخف حنين، لو كان معه أخوه لأخذته، وعلق حنين الفردة الثانية بعيدا عن الأولى، فلما رأها الأعرابي أناخ جمله وأخذ الفردة ووضعها في ذراعه ورجع للثانية، فقعد حنين على الجمل وذهب به، فرجع الأعرابي إلى قومه بغير جمل والخفان في ذراعه، وقالوا له: بماذا جئت؟ قال: جئتكم بخفي حنين؛ فذهبت مثلا. وهناك قصة بخيل دخل عليه صديق وبين يديه أقراص عسل وأقراص خبز، فبادر وخبأ أقراص الخبز ظانا أن العسل لا يؤكل وحده، فلما دخل عرض عليه الأكل، فأمعن في أكل أقراص العسل، فقال له: مهلا إن أكل العسل وحده يحرق القلب، قال: نعم، يحرق قلبك أنت. وهناك من ينسكب فوقه الرزق والحظ وهو بليد، فتوسط في أمورك، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء:29].

52- أدِ الأمانةَ والخِيانــةَ فاجتنِــب   واعدِلْ ولا تظلِم يطِب لك مكْـسب

أداءُ الأمانةِ مِثْلُ أداء الصلاة، والأمانةُ تَبَرَّأَتْ منها السماواتُ والأرض، وحملها الإنسان؛ فالفرائض أمانة في عنقك، وحقوق الوالدين والأبناء والأقارب والجيران ومن خالطتهم من الناس أمانة، والأسرار أمانة، والأعمال التي بعهدتك أمانة، والأموال العامة التي أنت موظف لحفظها، أو الخاصة وديعة أو نحو ذلك فهي أمانة؛ فكل شيء أمانة، وأهلك أمانة، وجسدك وروحك أمانة، فحافظ عليها مستعينا بالله، طالبا توفيقه، ومقابل أداء الأمانة فتجنب الخيانة حتما، وعليك بالعدل في الصغيرة والكبيرة، وفي القريب والبعيد، وفيمن تحب وتكره؛ فاعدل في كل شيء واعتدل، ولا تظلم؛ فإن الظلم مدمر، فإن كنت أمينا متجنبا للخيانة عادلا لا تظلم طاب عيشك دنيا وآخرة.

53- وإذا بليت بنكبةٍ فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلما لا ينكب

54- وإذا أصابك في زمانك شدةٌ ... وأصابك الخطب الكريه الأصعب

55- فاضرع لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريدِ وأقرب

الصبر سلاح المؤمن، وهو الحصن الحصين الذي نلجأ إليه عند مقارعة الأهوال، فَمَنْ أُصِيبَ في قريب أو حبيب فليس أمامه سوى تكرار: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وَمَنْ فات له مال فسيعوضه الله في الدنيا أو في الآخرة، وَمَنْ ظُلِمَ وأُلقِيَ به في السجن ظلما فليصبر فإن الله سيوقف الظالمين لأشد الحساب والعقاب، وسَيُلْقَى بِهِمْ

في الجحيم خالدين، وَالسِّجْنُ في الدنيا له نهاية ولو بالموت، أما النار أعاذنا الله منها فعذابها لا ينقطع، ومَنْ حصلت عليه أي نكبة فَلْيَلْجَأْ إلى الله سبحانه، وَلْيَتَأَسَّ بالصالحين؛ فإن أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأَمْثَلُ فالأمثل، والزم عند الشدائد التضرع لربك، فإنه سميع الدعاء، والفرج يأتي بعد الشدة؛ فقد لبث يوسف في السجن بضع سنين ثم خرج ملكا على خزائن مصر. وَبَعْضُ النكبات تأتي ولا حيلة لنا فيها؛ فما سلاحنا إلا الصبر، ومواصلة العمل؛ فالحياة حافلة بالسراء والضراء.

56- كُن ما استطعت عن الأنامِ بمعزلٍ   إن الكثير من الورى لا يُصحب

قد تحتاج إلى العزلة لالتقاط الأنفاس من زحام الحياة، ولِتَجِدَ فرصة للتأمل، ومراجعة تصرفاتك، وقد تحتاج إلى العزلة فرارا بدينك من الفتن عندما يغلب الطمع، والشح المطاع ، والهوى المتبع، والأنانية، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وتجد أن لا جدوى لنصحك، ولا تأثير لإرشادك؛ فانعزل حتى يأذن الله بزوال الغيمة، وانكشاف الغمة، وانجلاء الظلمة؛ فلا خير في صحبة الأنذال ومخالطة التافهين التائهين المغرورين بالمال والجاه والسلطة.

57- واجعلْ جِليسك سيدا تحظى بِهِ   حبر لَبيب عاقِلٌ متأدب

أفضل جليس هو العالم الذي تتزود منه العلم بالكتاب، والسنة، واللغة، والأدب، والفقه، والفرائض، والحِكَمِ؛ فليس أفضل وأشرف من مجالسة ورثة الأنبياء، وعيون الناس، وساداتهم، ثم العاقل المجرب اللبيب الذكي

المحنك المتأدب الظريف؛ فبعض العلماء لديه فراسة كالقاضي محمد الحجري رحمه الله وقصة استشارة الوالد محمد المنصور لـه في الـذهاب لتهنئـة الإمـام عبدالله الوزير، فقال له: رَوِّحْ بيتك، والله ما يتمضمض بها ثمانية أيام. وكـان يجري مذاكرة في بعض المجالس مع علماء وبينهم شخص لَابِسٌ كُمًّـا، وهـو القُبْعُ فِي صُوْرَةِ قَبِيلِيٍّ، وكان يشارك بكلمة بعد كلمة تَبْهَرُ الحـاضرين؛ فقـال بعض العلماء في المجلس: سبحان الله ما أطعم العلم تحت القبع، وهذا القبيلي المُقَبَّعُ كان رهينة فتخرج في السجن على يد علماء.

58- واحذَر مِن المظلومِ سهما صائبا واعلـم بـأن دعـاءه لا يحجـب

دعوة المظلوم لا ترد، فاحـذرها؛ فإنهـا قاتلـة مـدمرة، تزلـزل الأركـان، وتهدم العروش؛ اللَّهُمَّ زَلْزِلْ عُرُوشَ الظَّالِـمِينَ، وَقَوِّضْ بُنْيَـانَهُمْ، اللَّهُـمَّ بَدِّدْ شَمْلَهُمْ، وَمَزِّقْ جَمْعَهُمْ، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تَذَرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ، وَاجْعَلِ الـدَّائِرَةَ عَلَـيْهِمْ، اللَّهُـمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمُ البَلَاءَ الْـمُبْرَمَ فِي اللَّيْلِ الأَظْلَمِ، اللَّهُمَّ لَا تُقِلْ لَهُمْ عَثْـرَةً، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ زَلَّةً، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَآيَةً لِلنَّاظِرِينَ، اللَّهُمَّ انْزَعْ عَنْهُمْ حِلْمَكَ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ غَضَبَكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهُ، وَأَرِحْنَـا مِنْهُمْ، وَاشْفِ صُدُورَنَا بِخِزْيِهِمْ، وَاقْطَعْ دَابِرَهُمْ. آمين.

59- وإذا رأيت الرزق عـز ببلـدة وخشيت فيها أنْ يـضيق المكْـسب

60- فارحلْ فأرض اللهِ واسِعةُ الفضا طُولا وعرضــا شــرقُها والمغــرب

تَحَرَّكْ مثل الطيور، والذَّرِّ، والنحـل؛ فبعض الطيـور تهـاجر مـن القطـب إلى القطب، وأنت آدمـي مكـرم بالعقـل فـلا تقعـد في بـلاد الـضيق وأرض الله واسعة، فربما خرجت من بلدك لأنـك لا تملـك أرضًـا تزرعهـا، ولم تجـد مـن يعطيك أرضه لتزرعها مقابل نسبة مـن غلتهـا، فقـد تجـد في الـسودان أراضيَ شاسعة دسمة خصبة لا يزرعها أحد: إما لكسل أهلها، وإما لأنهـا زائـدة عـن حاجتهم، هاجر إلى كندا بلاد الحرية والمـاء والأرض، أو اسـتراليا، أو أمريكـا الشمالية أو الجنوبية، أو هاجر داخل بلدك، فربما وجدتَ مُرَاغَمًا كَثِيرةً وسـعة، فقد تأتي إلى القرية الغريبـة بخـبرة ليـست عنـدهم؛ فتحظـى بتـسابقهم عـلى خبرتك.

61- ولقد نصحتك إنْ قبلت نصيحتي فالنصح أغلـى مـا يبـاع ويوهـب

62- خذْها إليك قـصيدةً منظومـةً جاءت كنظم الدر بلْ هـي أعجـب

63- حِكم وآداب وجـل مـواعظٍ أمثالهـا لـذوي البـصائر تكْتَـب

64- فأصخ لوعظ قصيدةٍ أولاكهـا طود العلـوم الـشامخات الأهيـب

65- أعني عليا وابـن عـم محمـدٍ من ناله الـشرف الرفيـع الأنـسب

66- يا رب صل على النبـي وآلـهِ عدد الخلائـق حـصرها لا يحـسب

خذ هذه النصائح؛ فإنها أنفس من الدر، وأغلى مـن الجـوهر، وأثمـن مـا يبـاع

ويوهب، **وقد** نظها لك ناظم حكيم، مجرب، بارع، ترقى في المعالي، وتفوق في المعارف والعلوم حتى لَامَسَتْ هَامَتُهُ الثريا؛ فغدا قِبْلَةَ المكارم، وإمام المعالي- **إنه** وصي الرسول، وزوج البتول، ووالد الحسنين، **وَمَنْ** هو مِنْ خاتم المرسلين بمنزلة هارون من موسى؛ **فهو** وصيه، وابن عمه، وباب مدينة علمه، وأشجع رجاله، وأعلم أصحابه، وأَطْوَعُ الخَلْقِ لَهُ، وأقرب المقربين منه، مَنْ حُبُّهُ إِيمَانٌ وبُغْضُهُ نِفَاقٌ، إمام الزاهدين، وزعيم المجاهدين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، أول المؤمنين إيمانا، وأسبقهم المسلمين إسلاما.

ونسبة القصيدة إليه عليه السلام: إما حقيقة فهو معدن الحِكَمِ، وإما مجازا مِنْ أَحَدِ محبيه فهو كنز الأداب، وباب مدينة العلم، ولقمان المسلمين، وليس المهم من قالها، وإنما المهم ما اشتملت عليه؛ فالْعَقِ العَسَلَ ولا تَسَلْ؛ فالمهم أن تستفيد من النصائح في مستقبلك، ولا تتجاهلها؛ فهي تَجْرِبَةُ أُمَمٍ، وَصِيَاغَةُ حُكَمَاءَ، وجُهْدُ عُلَمَاءَ، مُعَبِّرَةٌ عَمَّا حَمَلَهُ لَكَ كِتَابُ الله العزيز، وسنة نبيه الكريم، معلم مكارم الأخلاق. صلى الله عليه وآله وسلم. وقد آثرت أن أسهم بشرحها بلغة مُيَسَّرَةٍ جاءت من عفو الخاطر، وضمنتها شرح المفردات اللغوية، وفوائد تنفع إن شاء الله.

وفقني الله وإياكم أيها القراء الكرام الأماجد إلى كل خير، ولا تنسوني من الدعاء، فأنتم بعد الله رأسُ مالي، وبكم أرجو الله أن يرحمني، وأن يسترني، فلا أكون كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها، أو كالجمل يحمل اللوز

والزبيب لغيره ويأكل الشوك. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:10]، رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ [آل عمران:8]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تمت المراجعة الأخيرة ليلة النصف من شعبان ١٤٣٠هـ الموافق ٥/ ٨/ ٢٠٠٩م. بمركز بدر العامر – صنعاء.

كتبها أسير ذنوبه/

أبو هاشم المرتضى بن زيد بن زيد بن علي المَحَطْوَرِي الحَسَنِي.